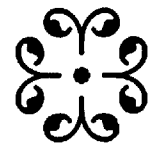

موسى
عليه السلام
الكليم ومعجزاته الكبرى

هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم السلام ـ.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾[1].

(١) مريم: ٥١ ـ ٥٣.

وقال الله عز وجل أيضًا: ﴿طسٓمٓ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1].

كان بنو إسرائيل يتدارسون فيما بينهم ما يأثرونه عن إبراهيم عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلامٌ يكون هلاك ملك مصر على يديه، وذلك ـ والله أعلم ـ حين أراد مَلِكُ مصر السوءَ من «سَارة» امرأة الخليل، وعِصْمة الله لها.

وكانت هذه البشارة مشهورة فى بنى إسرائيل، فتحدث بها القبط فيما بينهم، ووصلت إلى فرعون، فذكرها له بعض أمرائه وأساورته وهم يسمرون عنده، فأمر عند ذلك بقتل أبناء بنى إسرائيل حذرًا من وجود هذا الغلام، ولن يُغنى حَذَرٌ مِنْ قَدَر.

وذكر السُّدِّى عن أبى صالح وأبى مالك، عن ابن عباس وعن مرة وعن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة: أن فرعون رأى فى منامه كأن نارًا قد أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر

(١) القصص: ١ ـ ٥.

وجميع القِبط، ولم تضر بنى إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك، فجمع الكهنة والسحرة وسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا غلام يُولد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه، فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴾[1].

أى: سيئول مُلك مصر وبلادها إليهم، وسيجعل الله الضعيف قويًّا، والمقهور قادرًا، وقد احترز فرعون كل الاحتراز أن لا يُوجد هذا الطفل، حتى جعل رجالا وَقَوَابِلَ يدورون على الحبالى، ويعلمون ميقاتَ وَضْعِهِنَّ، فلا تلد امرأة ذكرًا إلا ذبحه أولئك الذباحون من ساعته.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين: أن القبط شكوا إلى فرعون قِلَّة بَنى إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور، وخشى أن يَفْنَى الكبار مع قتل الصغار، فيصيرون هم الذين يَلُونَ ما كان بنو إسرائيل يعالجون، أى خافوا أن ينقرض بنو إسرائيل فيفقدوا بذلك عُمَّالاً أَشدَّاءَ يُسَخَّرون فى أعمال فرعون ويقومون بأعمال أخرى مرهقة، فإذا ما انقرضوا فستعود الخسارة بذلك على المصريين، لأنهم لن يجدوا مَنْ يقومون بتلك الأعمال المرهقة، ولامَنْ يتحملون مثل ما يلقاه هؤلاء من عَنَتٍ وإذلال، فأمر فرعون بقتل الأبناء عامًا وأن يتركوا عامًا،

(١) القصص: ٥.

فذكروا أن هارون ـ عليه السلام ـ ولد فى عام المسامحة عن قتل الأبناء، وأن موسى ـ عليه السلام ـ وُلد فى عام قَتْلِهِمْ، فضاقت أمه به ذرعًا، واحترزت من أول ما حملت به، ولم يكن يظهر عليها علامات الحمل.

فلما وضعت وليدها أُلهمت أن تتخذ له تابوتًا وتضعه فى البحر، وتمسك طرف الحبل عندها، فإذا ذهبوا استرجعته إليها به، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِى إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

وذكر المفسرون أن الجوارى التقطنه من البحر فى تابوت مُغْلَق عليه، فلم يتجاسرن على فتحه حتى وضعنه بين يدى امرأة فرعون «آسية بنت مزاحم» فلما رأته «آسية» ووقع نظرها عليه أحبته حبًّا شديدًا، فلما جاء فرعون قال: ما هذا؟ وأمر بذبحه، فاستعطفته واستوهبته منه، ودفعت عنه: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[2].

(١) القصص: ٧ ـ ٩.

(٢) القصص: ٩.

ولأنَ فرعونُ لاستعطاف زوجته، وتَرَكَهُ لها. . وهكذا شاءت إرادة الله أن يُرَبَّى موسى فى بيت فرعون. وأصبح آلُ فرعون يطلبون المراضع للطفل الصغير فلا يجدون مرضعة له، فتقول لهم أخته: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾(١).

فَأُذن لأخته بإحضار مَنْ أشارت إليه من المراضع، فسارعت بإحضار أم موسى لترضع وليدها، الذى وُضع بين يديها، وسرعان ما أقبل الطفل على ثدى أمه ـ بعد أن كان يرفض كل ثدى كان يُقَدَّم إليه ـ وهكذا أقَرَّ الله عين الأم بوليدها.

وبقى معها حتى جاوز سنَّ الرضاع ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٢).

وأدرك موسى ـ عليه السلام ـ خطورة هذا العمل الذى قام به، فاستغفر ربه وشعر بالندم على ذلك، وأصبح خائفًا من فرعون وملئه

(١) القصص: ١٢.

(٢) القصص: ١٤ ـ ١٦.

أن يعلموا أن هذا القتيل الذى رُفع إليه أمره إنما قتله موسى فى نُصْرَةِ رجلٍ من بنى إسرائيل، فتقوى ظنونهم أن موسى منهم، ويترتب على ذلك أمر عظيم، فصار فى المدينة خائفًا يتلفت حوله، وبينما هو كذلك إذْ بالرجل الإسرائيلى الذى استنصره بالأمس يستصرخه، أى يصرخ به ويستعين به على غيره، فعنفه موسى وَلَامَهُ على كثرة شَرِّه، وقال له: ﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾(١).

علم فرعون أن موسى هو قاتل ذلك الرجل المقتول بالأمس، فأرسل فى طلبه، ولكن قد سبقهم رجل ناصح كان يميل إلى موسى، فَسَعَى إليه ليُحذره ويبلغه مَا ائْتَمَرَ عليه القوم، فقال له: ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾(٢).

خرج موسى ـ عليه السلام ـ من أرض مصر من فوره، لا يهتدى إلى طريق ولا يعرف أين يذهب، فدعا ربه بقوله: ﴿ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٣).

وتوجه إلى مَدْيَنَ(٤)، وعندما وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وجد عليه جماعة من

(١) القصص: ١٨.
(٢) القصص: ٢٠.
(٣) القصص: ٢١.
(٤) مَدْين: تقع شمال خليج العقبة، بين الحجاز والشام.

الناس (الرعاة) يسقون، ووجد بالقرب منهم فتاتين تدفعان أغنامهما حتى لاتختلط بغنم الآخرين الذى يتسابقون فى الورود إلى الماء، فتعجب موسى من أمْرِ هؤلاء الرجال الذين يستبقون إلى الماء، فى حين أن الفتاتين تستأخران عنه، . وأدرك موسى ضَعْفَ الفتاتين أمام هؤلاء الرجال الأقوياء، فأخذته الشهامة وتقدم بغنم الفتاتين إلى البئر وسَقَى لهما.

قال المفسرون: «إن الرعاة كانوا إذا فرغوا من وُرُودِهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة حتى لا يسقى غيرهم، ولما جاء موسى ووجد أن الفتاتين لا تستطيعان رفع الصخرة، فرفعها وحده، وسقى لهما غنمهما، ورجع إلى الظل بعد أن رَدَّ الحجَرَ مكانه، وتوجه إلى الله بهذ الدعاء: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1].

وبعد قليل جاءته إحدى الفتاتين قائلة: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[2]، فذهب إليه، فأضافه وأكرم مثواه، وقَصَّ موسى عليه أَمْرَهُ، وعَرَّفَهُ خبر هَرَبِه من مصر، فبشره بأنه قد نجا منهم. عند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها: يا أبت استأجره ليرعى غنمك، ثم مَدَحَتْهُ بأنه قوىٌّ وأمينٌ. ولَّما قالت ذلك قال لها أبوها: وما علمك بهذا ؟ فقالت إنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة،

(١) القصص: ٢٤.

(٢) القصص: ٢٥.

وإنه لما جئتُ معه تقدمتُ أمامه فَعَصَفَ الهواء بثوبى، فقال: كونى من ورائى، فإذا اختلف الطريق فاقذفى لى بحصاة أعلم بها كيف الطريق.

قال الأب ـ والمشهور أنه «شعيب عليه السلام» عند الكثيرين ـ بعد أن صَادَفَ ما قالته إحدى ابنتيه عن موسى قَبُولاً من نفسه: ﴿ **قَالَ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَىَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَانِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾[1].

فَقَبِلَ موسى عَرْضَ الشيخ، قائلاً لصهره: الأمر على ماَ قُلْتَ، فَأَيُّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فلا عُدوانَ علىَّ ـ أى: لا يُطْلَبُ منى أنْ أزيد عليه ـ والله على مقالتنا سامع ومشاهد، ووكيل علىَّ وعليك.

ومع هذا فقد قضى موسى الأجل الأكمل عشر سنين كاملة».

المعجزة الأولى

قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِه آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِه امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّى آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّى أَنَا اللَّهُ رَبُّ**

(١) القصص: ٢٧.

الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[1].

اشتاق موسى ـ عليه السلام ـ إلى أهله، فقصدهم بمصر مُتَخَفِّيًا، فلما سار بأهله ـ زوجته وولديه ـ وغنم استفادها مدة إقامته عند شعيب، وكان ذلك فى ليلة مظلمة باردة، وقد تاهوا فى طريقهم فلم يهتدوا إلى السلوك فى الدرب المألوف، وجعل يُورِى زناده فلا يورى شيئًا، واشتد الظلام والبرد، فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بُعْدٍ نارًا تتأجج فى جانب الطور، وهو الجبل الغربى منه عن يمينه، فقال لأهله: ﴿امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾.

يقول الإمام ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ: وكأنه ـ والله أعلم ـ رآها دونهم، لأن هذه النار هى نُورٌ فى الحقيقة، ولا يصلح رؤيتها لكل أحد[2]. ولما وصل إلى هذا المكان سمع صوتًا عظيمًا يناديه: ﴿أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

(١) القصص: ٢٩ ـ ٣٢.

(٢) البداية والنهاية (١/ ٢٧٨).

(٣) القصص: ٣٠.

قال غير واحد من المفسرين ـ من السَّلَفِ والخَلَف ـ: لما قصد موسى إلى تلك النار التى رآها فانتهى إليها وجدها تتأجج فى شجرة خضراء من العَوْسَجِ، وكل ما لتلك النار فى اضطرام، وكل ما لخضرة تلك الشجرة فى ازدياد، فوقف متعجبًا، وكانت تلك الشجرة فى وادٍ اسمه «طُوًى»، فكان موسى مستقبل القبلة، وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب، فناداه ربه بالوادى المقدس طوى، فَأَمَرَهُ أولا بخلْعِ نعليه تعظيمًا وتكريمًا وتوقيرًا لتلك البقعة المباركة، ولاسيما فى تلك الليلة المباركة....

يقول الله عز وجل فى سورة طـه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾[1].

المعجزة الثانية

ومنذ تلك اللحظة كُلف موسى بالرسالة ليكون نبيًّا إلى فرعون وقومه، وكانت هذه المعجزة تأييدًا لموسى فى مهمته التى كُلف بها أمام الطاغية فرعون، فقال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧)

(١) طه: ١١ ـ ١٦.

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[1].

امتثل موسى لأمر الله ـ عز وجل ـ وألقى عصاه فصارت فى الحال حَيَّةً عظيمة تتحرك حركة سريعة، فإذا هى تهتز كأنها جَانٌّ ـ وهو أسرع الحيات حركة ـ ولكنه صغير، وهذه فى غاية الكبر، وفى غاية السرعة.

قال ابن عباس: مرت بشجرة فأكلتها، ومرت بصخرة فابتلعتها، فجعل موسى يسمع وقع الصخرة فى جوفها فولى مدبرًا هاربًا، ونودى أن يا موسى خُذْهَا، فلم يأخذها، ثم نودى للمرة الثانية: «خذها ولا تخف»، وقيل له فى الثالثة: «إنك من الآمنين» فأخذها بيمينه، وكان شديد الخوف، فإذا هى عصاه التى عَهِدهَا، وإذا يده فى موضعها الذى كان يضعها حتى يتوكأ عليها.

المعجزة الثالثة

أما المعجزة الثالثة فهى قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾[2].

(١) طه: ١٧ ـ ٢٣.
(٢) طه: ٢٢.

قال مجاهد: «واضمم يدك إلى جناحك» أى: ضَعْ كَفَّكَ تحت عَضُدِكَ، وذلك أن موسى ـ عليه السلام ـ كان إذا أَدْخَلَ يده فى جيبه ثم أخرجها تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر، تخرج بيضاء من غير سوء، أى: من غير بَرَصٍ ولا أَذًى، ومن غير شَيْنٍ.

وقال الحسن البصرى: أخرجها الله كأنها مصباح يتلألأ، فعلم موسى أنه قد لقى ربه عز وجل، ولهذا قال تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[1].

فهاتان معجزتان كبيرتان، الأولى: قَلْبُ العصا حَيَّةً عظيمة تلتهم ما يقابلها بأمر من الله ـ عز وجل ـ فإذا أمسكها موسى تعود كما كانت عصاه التى يُمسك بها.

أما الثانية: فهى يده، حيث يتغير لونها فتصبح نورًا عظيمًا مثل فلقة القمر، من غير مرض ولا سوء، ثم يعيدها إلى جيبه مرة أخرى فتعود كما كانت.

ذهب موسى ـ عليه السلام ـ إلى فرعون ـ تنفيذًا لأَمْرِ الله ـ وطلب منه عبادة الله الواحد الأحد، فأَبَى واستكبر، وقال: أنا رَبُّكُم الأعلى، فأراه موسى آيات ربه الكبرى، لكنه جَحَدَ وعَانَدَ، وطَلَبَ فرعونُ السَّحرةَ من كل مكان، واجتمعوا يوم الزينة، وألقوا بِعِصِيِّهِمْ

(١) طه: ٢٣.

فَخُيِّلَ لمن يراها أنها حية تسعى، فأمر الله عز وجل موسى أن يُلْقِيَ بعصاه، فإذا هى حية ضخمة تبتلع كل ما ألقى السَّحَرة، فَخر السَّحَرَةُ لله عز وجل ساجدين، وآمنوا بموسى عليه السلام.

قال ابن عباس: فجعلت ـ أى: الحية ـ لا تمر بشئ من حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته، فعرف السحرة أن هذا شئ من السماء، وليس بسحر، فخروا سُجَّدًا وقالوا: «آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون»، لو كان هذا ساحرًا ما غلبنا.

المعجزة الرابعة

وهذه المعجزة حدثت بعد خروج موسى ببنى إسرائيل من مصر بأمر الله، بعد أن أنجاهم الله من فرعون وجنوده الذين كانوا يلاحقونهم، فأطبق الله عليهم الماء، فغرقوا جميعًا، وأنجى الله موسى ومن معه، وقد طلب بنو إسرائيل من موسى أن يدعو ربه أن يحميهم من وهج الشمس وشدة حرها، وأن يسأله الطعام والشراب لهم.

يقول الله ـ عز وجل ـ فى كتابه الكريم: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

(١) البقرة: ٥٧.

قال المفسرون: شرع الله تعالى يذكر بنى إسرائيل بما أَسْبَغَ عليهم من النعم، فَظَلَّلَهُمْ بالغمام، وهو السحاب الأبيض، وقد ظُلِّلُوا به فى التيه ليقيهم حر الشمس، رَوَى ذلك النسائى وغيره عن ابن عباس فى حديث الفتون، قال: ثم ظَلَّلَ عليهم فى التِّيهِ بالغمام.

وقال ابن جرير: هو غمام أبرد من هذا وأطيب. وعن أبى نجيح عن مجاهد قال: ليس بالسحاب، هو الغمام الذى يأتى الله فيه يوم القيامة ولم يكن إلاَّ لهم، وكأنه يريد ـ والله أعلم ـ أنه ليس من زى هذا السحاب، بل أحسن منه وأطيب، وأبهى منظرًا.

وقال السدى: قالوا يا موسى كيف لنا بما ها هنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المنّ، فكان يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يأخذ الرجل منهم قَدْرَ ما يكفيه يومه بذلك، فإذا تَعَدَّى ذلك فَسدَ.

وقال الربيع بن أنس: المن شَرَابٌ كان ينزل عليهم مثل العسل، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه.

وقال الإمام ابن كثير: إن عبارات المفسرين متقاربة فى شرح المنِّ، فمنهم مَنْ فَسَّرَهُ بالطعام، ومنهم من فَسَّرَه بالشراب، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه كل مَا امْتَنَّ الله به عليهم من طعامٍ وشرابٍ وغير ذلك.

أمَّا السَّلْوَى فهو طائرٌ يشبه «السمان» وأكبر منه، فكان يأتى أحدهم فينظر إلى الطير، فإن كان سمينًا ذبحه، وإلا أرسله، فإذا سَمِنَ أتاه، فقالوا لموسى: هذا الطعام، فأين الشراب؟

المعجزة الخامسة

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1].

عندما طلب بنو إسرائيل من موسى ـ عليه السلام ـ الشَّرَاب، دَعَا موسى ربه، وطلب منه السُّقْيَا، فأمر الله عَزَّ وَجَلَّ موسى أن يضرب بعصاه الحجر، فَانْفَجَرَتْ منه اثنتا عشرة عينًا من الماء العذب، لكل سِبْطٍ[2] من أسباطهم عَيْنٌ قد عرفوها، فأكلوا من المنِّ والسَّلْوَى، وشربوا من هذا الماء العذب، الذى فَجَّرَهُ الله تعالى من حَجَرٍ يحملونه معهم بلا سَعْيٍ ولا كَدٍّ.

قال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ: جعل الله بين ظهرانيهم حَجَرًا مربعًا، وأَمَرَ موسى ـ عليه السلام ـ فضربه بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، فى كل ناحية منه ثلاث عيون، وَأَعْلَمَ كُلَّ سِبْطٍ عينهم التى يشربون منها، لا يرتحلون من مكان إلا وجدوا ذلك معهم بالمكان الذى كان منهم بالمنزل الأول[3].

---

(١) البقرة: ٦٠.

(٢) السِّبْطُ من اليهود: كالقبيلة من العرب.

(٣) رواه النسائى وابن جرير.

وقال الزمخشرى: كان ـ أى الحجر ـ من رُخامٍ، وكان ذراعًا فى ذراع. وقيل: كان مثل رأس الإنسان. وقيل: كان من الجنة، طوله عشرة أذرع، على طول موسى، وله شُعبتان تتقدان فى الظلمة، وكان يُحْمَلُ على حمار. قال: وقيل: أَهْبَطَهُ آدمُ من الجنة، فتوارثوه، حتى وقع إلى شُعَيْب، فدفعه إليه ـ أى: إلى موسى ـ مع العصا. وقيل: هو الحَجَرُ الذى وَضَعَ عليه موسى ثوبه حين اغتسل، فقال له جبريل: ارفع هذا الحجر، فإنه فيه قدرة، ولك فيه معجزة. فحمله فى مخلاته.

وقال الزمخشرى أيضًا: يُحتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد، بمعنى أن يضرب موسى الشئ الذى يقال له الحجر. وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجرًا بعينه. قال: وهذا أظهرُ فى المعجزة، وأَبْيَن فى القُدرة، فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر، ثم يضربه فييبس، فقالوا: إنْ فقدَ موسى هذا الحجر عطشنا، فأوحى الله إليه أن يُكَلِّمَ الحجارة فتنفجر، ولا يَمَسَّهَا بالعصا، لعلهم يقرون. والله تعالى أعلم.

المعجزة السادسة

يقول الله عز وجل: ﴿ **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ** ﴾[1].

(١) البقرة: ٥٠.

بعد أن خرج موسى ـ عليه السلام ـ ومعه بنو إسرائيل، خَرَجَ فرعون وراءهم فى طلبهم فَفَرَقَ الله بهم البحر، وعبر موسى ومعه بنو إسرائيل سالمين، وأغرق الله فرعون وقومه.

يقول الإمام ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ فى تفسير الآية الكريمة: لما خرج موسى ببنى إسرائيل بلغ ذلك فرعون، فقال: لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة، أى: مع طلوع الفجر، قال: فوالله ما صاح ليلتئذ ديك واحد حتى أصبحوا، فدعا بشاة فَذُبِحتْ، ثم قال: لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع إلى ستمائة ألف من القبط ـ يعنى: المصريين ـ فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع العدد المطلوب.

فلما أتى موسى ـ عليه السلام ـ البحر، قال له رجل من أصحابه يقال له يُوشَعُ بن نُون: أين أمر ربك؟ قال: أمامك ـ يشير إلى البحر ـ فأقحمه يوشع فَرَسَهُ فى البحر حتى بله به الغمر، فذهب به الغمر، ثم رجع فقال: أين أمر ربك يا موسى؟ فوالله ما كَذَبْتَ ولا كُذِبْتَ. فعل ذلك ثلاث مرات. ثم أوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضربه، وانفلق، فكان كل فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيم ـ يقول مثل الجبل ـ ثم سار موسى ومن معه، وأتبعهم فرعون فى طريقهم، حتى إذا تَتَامُّوا فيه أطبقه الله عليهم، فلذلك قال تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[1].

(١) البقرة: ٥٠.

وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء، كما قال الإمام أحمد عن ابن عباس، قال: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال: «**ما هذا اليوم الذى تصومون؟ قالوا: هذا يَوْمٌ صالحٌ، هذا يَوْمٌ نَجَّى الله عز وجل فيه موسى من فرعون، فصامه موسى. فقال ﷺ: إنَّا أحَقُّ بموسى منكم. فصامه، وأمر بصومه**»(١).

المعجزة السابعة

يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾(٢).

يقول المولى عز وجل مُذَكِّرًا بنى إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له، واتباع رسله، وأخبر ـ سبحانه وتعالى ـ أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رُءوسهم ليقروا بما عُوهِدُوا، ويأخذوه بقوة وحزم وامتثال، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾(٣).

فالطور هو الجبل، كما فسره به فى سورة الأعراف، ونص على

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه.
(٢) البقرة: ٦٣.
(٣) الأعراف: ١٧١.

ذلك ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس، وغير واحد، وهذا ظاهر. وفى رواية عن ابن عباس: الطور ما أنبت من الجبال، وما لم ينبت فليس بطور. وفى حديث الفتون عن ابن عباس: أنهم لما امتنعوا عن الطاعة رفع عليهم الجبل ليسمعوا.

وقال السدى: فلما أبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم، فنظروا إليه وقد غشيهم فسقط، فسجدوا على شق ونظروا بالشق الآخر، فرحمهم الله فكشفه عنهم، فقالوا: والله ما سجدة أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم، فهم يسجدون كذلك.

المعجزة الثامنة

(قصة البقرة)

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[1].

وهذه قصة البقرة التى وردت وُسميت باسمها السورة: وُجد قتيل من بنى إسرائيل ولم يعرفوا القاتل، فذهبوا إلى موسى ـ عليه السلام ـ فسألوه عن القاتل، فسأل موسى ربه، فأمرهم بذبح بقرة، ولما

(١) البقرة: ٦٧.

سمعوا ذلك دَهِشُوا وتعجبوا من موسى، وظنوا أنه يسخر منهم، فقالوا له: أتتخذنا هزوا؟ فاستعاذ بالله من ذلك، وأخذوا يجادلونه، وكلما تشددوا شَدَّدَ الله عليهم، والإلحاح فى السؤال مع الأنبياء مذموم.

وقصة هذه البقرة أن رجلاً صالحًا من بنى إسرائيل له ابن، وكانت له عِجْلة، فقال: اللهم إنى أستودعك هذه العجلة لهذا الصبى. فلما مات الأب قالت له أمه: إن أباك قد تَرَكَ لك عِجْلةً صغيرة منذ تسع سنوات، وأَوْصى أن تُتْرَك فى أرض الله، فهى حراسة الله، فاذهب إليها وابحث عنها وسيهديك الله إلى مكانها، وغاب الابن فترة ثم عاد بالعجلة وقد صارت بقرة صفراء تسر الناظرين.

ولما جاء بالبقرة رآه بنو إسرائيل فقالوا: هذه هى البقرة التى نبحث عنها، والتى دَلَّنَا نبى الله موسى عَلَى صفاتها، فساوموه على شرائها، فاشترط عليهم أن يشتروها منه بوزنها ذهبًا. ثم ذبحوا البقرة، وضربوا القتيل بجزء منها، فأحياه الله تعالى، وقال: قتلنى فلان. ثم مات.

ويسجل القرآن الكريم تلك المعجزة بقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[1].

(١) البقرة: ٧٢، ٧٣.